Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النفي، ومنذ عهده في الوطن وفي الحزب الشيوعي السوري، كان يدافع عن الملكية الخاصة، ويراها ضرورية إلى حد ما (في هذه المرحلة). وكان ضد تبعية حزبه والأحزاب الشيوعية إلى موسكو، ولا يرى أيديولوجية صافية، ففي كل أيديولوجية ترسبات. كما كان له موقف من الفلاحين يخالف الماوية والسوفياتية. ويرفض زبيد الانتقاد الذاتي الذي فَرِضَ على فرج الله الحلو. وينقد قيادته الشيوعية بموقفها من المثقف الذي لايمدحها، فالسلطان الشيوعي لايثق بالمثقفين، وهو يشك في زبيد لمجرد أنه مثقف.

وتصل مفارقة زبيد لحزبه إلى ذروتها في تأييده هو للوحدة السورية المصرية، مثل الصين، وعكس موسكو وحزبه. وعلى الرغم من أنه تشرد إلى لبنان، فحزبه ينبذه عقاباً على بوحه بأفكاره الانتقادية المخالفة. وقد أعانه في المضي إلى الصين الدكتور جورج حنا، كما يبين أحد هوامش الرواية، ليلزم القراءة بالمطابقة بين سيرة زبيد وسيرة الكاتب. وفي بكين، حيث بات زبيد بلا وثيقة، تعزله الفرقة الحزبية الشيوعية السورية، لكنه يظل ملتزماً بالحزب، ومتشبثاً بموقفه الاستقلالي.

في المذكرات المؤرخة في 1960/9/2 نقرأ أن زبيد معاقب من الحزب بلا ذنب، فالحزب يتهمه بمخالفة الديسبلين، وهو يردد "نحن ضحايا وبصورة مجانية" و "أنا ضحية مفجعة". وعندما ينشب الخلاف الصيني السوفياتي، ويبدأ ترحيل السوفييت وغيرهم من الأحزاب الشيوعية العربية، يؤكد زبيد موقفه الاستقلالي الانتقادي، فيغرد في الوفاء العربي للاتحاد السوفياتي، ويهجو المرتزقة الذين حلّوا في الصين محل من رحلوا، ويمتدح موقف الأحزاب الشيوعية الأوروبية من الخلاف العتيد. فالحزب الشيوعي الفرنسي لن يسحب مارغريت وزوجها جاك لأنه حزب متحضر لم يرفع الشعار الأعمى (معيار الوطنية صداقة الاتحاد السوفياتي). وزبيد ملتزم بموقف حزبه على الرغم من أنه مفصول منه، ويهجو تبعية الأحزاب الشيوعية العربية لموسكو في موقفها من الخلاف. هكذا يودع برهان مخلص ومالك ممن رحلوا، متضامناً مع الاتحاد السوفياتي وغير معارض للصين، رغم ملاحظاته عليهما. ومع العجوزين الأرمنيين يعيش وقع الخلاف: مهزلة صارت تراجيديا، كارثة، زلزال، فقد انهزم الحلف المقدس كبناء من كرتون، وزبيد والعجوزان وحدهم كانوا يحسون أن الخلاف يضر بقضيتهم. أما النبوءة فلزبيد وحده، إذ يجزم أن طريق الصين غير مسدود كما تشنع موسكو وأتباعها، والدوغمائية ستذروها الرياح.